الغارة على القرآن الكريم

الغارة على القرآن الكريم

الدكتور

عبد الراضي محمد عبد المحسن

دار العلوم جامعة القاهرة

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

الناشر

دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)

الكتاب : الغارة على القرآن الكريم
المؤلف : د. عبد الراضي محمد عبد المحسن
رقم الإيداع : ٢٠٠٠/١٥٨٠٣
الترقيم الدولى : I. S. B. N.
٩٧٧-٣٠٣-
تاريخ النشر : ٥-٢٩٦

٢٠٠١ م

حقوق الطبع والترجمة والاقتباس محفوظة

الناشر : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (عبده غريب)
شركة مساهمة مصرية
الإدارة : ٥٨ ش الحجاز - عمارة برج آمون - الدور الأول - شقة٦
☎ ٦٣٦٢٥٦٢ ــ فاكس: ٦٣٧٤٠٣٨
التوزيع : ١٠ ش كامل صدقى الفجالة (القاهرة)
☎ ٥٩١٧٥٣٢ / ✉ ١٢٢ (الفجالة)
المطابع : مدينة العاشر من رمضان ــ المنطقة الصناعية (C١)
☎ ٠١٥/٣٦٢٧٢٧

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى شيخ الإسلام ابن تيمية :

بدأت مشروعًا معرفيًا هائلاً

وكم أتطلع إلى استكماله . .

فإن فاتني عزيمتك ، فلن تقعد بي المنهجية .

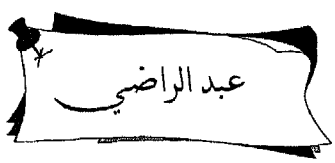

مُقَدِّمَة

لعلّ أطروحة صمويل هنتنجتون التي دوّت في الهزيع الأخير من القرن الميلادي المنصرم، كانت أمثل تعبير عن حقيقة ما يعتور عالمنا المعاصر من صراع حضاري ذي جوهر دينيّ .

ولم يكن سيل الكتابات الغربية التي تجعل من الإسلام وأمته وحضارته وعالمه عدوّ الغرب الحاليّ والمستقبليّ الذي يمثل إمبراطورية الشر بعد زوال المعسكر الشيوعي، إلا تجسيداً لأحد أبعاد ذلك الصراع الضاري [1].

وهذا الجانب الملتهب من جوانب الصراع وإن كان هو المستحوذ على غالب الاهتمام، إلا أن هنالك جوانب أخرى تماثله في الأهمية، بل قد تفوقه في الخطورة؛ لأن المستهدف فيها هو القلوب النابضة والعقول المحركة للفاطرة البشرية.

ومن تلك الجوانب حرب المعتقدات ومعركة الثقافة ، التي تأتي في مقدمتها الغارة التنصيرية على القرآن الكريم. تلك الغارة الشرسة التي تستهدف أصالة القرآن الكريم بوصفه كلام الله المنزل على خاتم رسله محمد بن عبد الله (ﷺ)، وتطعن في ربانية مصدر القرآن، وفي صحة تلقي النبي (ﷺ) الوحي القرآني بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام.

ولما كان القرآن الكريم كتابًا ليس مثل الكتب الأخرى في ديانات العالم ، لأنه الدستور الذي يقوم عليه الدين الإسلامي، كما أنه الوحي النازل من السماء والدليل المعجز المثبت لصحة نبوة ورسالة مبلغه في الآن نفسه.

لذلك فإن الطعن فيه يمثل طعنًا في أصالة الإسلام وجدارته واستحقاقه قيادة

---

(١) يأتي في مقدمة تلك الكتابات دراسة بعنوان Christianity and Islam للكاتب البريطاني Edward Mortimer وأخرى بعنوان Islam and Marxism للعالم الأنثروبولوجي Ernest Gellmer ، وقد نشرت الدراستان كملف خاص عن الإسلام في مجلة "International Affairs B: ٦٧ . ١ Junuary ١٩٩١" وشهادة ثالثة جاءت على لسان سياسي بارز ومسؤول كبير كان يشغل منصب رئيس المجلس الوزاري الأوربي ووزير خارجية إيطاليا "جياني ديميكليس" عندما برر سبب وجود حلف الأطلنطي بعد زوال المواجهة مع حلف وارسو، بأن المواجهة مع العالم الإسلامي هي مبرر بقاء الحلف .

الإنسانية، كذلك يمثل طعناً في صدق النبي محمد (ﷺ) وفي صحة نبوته.

وهنا تكمن خطورة الغارة على القرآن الكريم بما خلّفته من افتراءات وشبهات ودعاوى روجتها الجدليات التنصيرية، فقد كانت هذه الافتراءات قوية الأثر إلى الحد الذى انخدع له بعض الدارسين من أبناء الإسلام (١).

ولم تكن الردود على تلك الافتراءات تدانيها فى الأثر، فى الوقت الذى كان ينبغي أن تكون الردود أقوى حتى لا تبقى مجالا للشكوك أو الشبهات .

وربما يعود ذلك في جانب منه إلى عدم التخصص المنهجى للدارسين، حيث جاءت هذه الردود عرضاً فى سياقات مختلفة من الحديث عن الإسلام أو الفكر الإسلامي وعلاقته بالغرب من غير المتخصصين، وقد مثّل ذلك التناول الثانوى ثانى أسباب قصور تلك الردود .

بينما يتطلب هذا النوع من الدراسات إلماماً بجوانب معرفية عديدة، مثل: تاريخ الأديان، المعتقدات الدينية لدى أهل الكتاب، مضمون الكتب المقدسة، مناهج النقد العلمي: كالمنهج المقارن ومنهج نقد النصوص، والنقد الشكلى والنقد التاريخي.

وهذا ما دعانا إلى الإقدام على التصدي لهذه الغارة بحكم التخصص العلمي الدقيق، بالإضافة إلى ما يحدونا من أمل طموح في القيام بمطالب الإسلام وحقوقه علينا في إظهار كلمته على الدين كله، إذ تهدف هذه الدراسة إلى تحصين المسلم المعاصر وتزويده بنظرة نقدية للفكر التنصيري حول القرآن الكريم، وتاريخ الجدل ضد أصالته، ومسالك المنصِّرين فى جدلياتهم ضد أصالة القرآن الكريم بما يتمكن معه المسلم المعاصر من الفكاك من أسر الأطروحات التى قدمها التنصير خلال مراحل ارتقائه التاريخي منذ نشأته حتى يومنا هذا.

كما تهدف الدراسة من جانب آخر إلى توجيه الدعاة إلى الله بين غير المسلمين إلى الردود والشواهد العقلية والنقلية، والبراهين العلمية، والحقائق التاريخية التي تعينهم في الدعوة إلى كتاب الله، وتمكنهم في الآن نفسه من تصحيح المفاهيم المغلوطة التي روّجها المنصِّرون حول القرآن الكريم بغرض صرف الناس عنه.

---

(١) منهم على سبيل المثال فيما يخص موضوعنا: طه حسين – محمد خلف الله – محمد أركون – نصر أبو زيد.

وقد جاءت الدراسة – وفقًا لأهدافها – في ثلاثة محاور تضمنتها فصول ثلاثة:

الأول : يهدف إلى الكشف عن (حركة الجدل التنصيري ضد أصالة القرآن الكريم)، وذلك ببيان حقيقة التنصير ، ثم تحديد دوافع الجدل التنصيري ضد القرآن الكريم ، ثم بتتبع تاريخ الجدل التنصيري ضد أصالة القرآن الكريم من خلال رصد أدواره الخمسة :

١- دور التأسيس

٢- الجدل البيزنطي

٣- مرحلة الأندلس

٤- مرحلة الحروب الصليبية

٥- التنصير المؤسَّسي

ثم بالوقوف على مسالك الجدل التنصيري الأربعة ضد القرآن :

١- ترجمة القرآن.

٢- البحوث التنصيرية حول القرآن.

٣- إصدار الدوريات والقواميس ودوائر المعارف المتخصصة.

٤- ترويج المزاعم وإثارة الشبهات.

الثاني : يتصدى لـــ " تفنيد مزاعم الجدل التنصيري حول أصالة القرآن الكريم"، وذلك ببيان وجوه تهافت دعاوى المنصِّرين حول أصالة القرآن الكريم، من خلال الأدلة النقلية والعقلية ومقررات العلوم الإنسانية والتجريبية والاجتماعية، وبواسطة مناهج النقد الشكلي والتاريخي ونقد النصوص، والمنهج المقارن.

الثالث: يستخلص (دلائل الإعجاز القرآني) التي تقطع بربانية مصدر القرآن، وبصحة نبوة محمد، وبصدق تلقيه الوحي الإلهي، تلك الدلائل المتنوعة والشاملة لجميع جوانب ومجالات الإعجاز البياني، والإخباري، والتشريعي، والعقلي، والعلمي، التي لا يملك العاقل معها إلا التسليم بأن هذا القرآن إن هو إلا وحي

يوحى نزل به الروح القدس على قلب خاتم الأنبياء والمرسلين .

وختامًا أسأل الله العلي القدير أن يكون – تعالى – هو القصد من وراء هذا البحث ، وأن نكون قد وفقنا فيما ابتغيناه من التصدي للغارة الشعواء على كتابه الكريم، بعد أن تصدينا في كتابنا " نبي الإسلام بين الحقيقة والادعاء " للرد على غارة التنصير على رسول الإسلام .

والله الموفق ..،

القاهرة في:

١٤ ربيع الثاني ١٤٢١ هـ

١٦ يـــوليـــو ٢٠٠٠ م

عبد الراضي محمد عبد المحسن

الفصل الأول

حركة الجدل التنصيري

ضـــد

أصالة القرآن الكريم

المبحث الأول

حقيقة التنصير

التنصير يطلق على النشاط الذي يمارسه أفراد وهيئات ومنظمات أجنبية فى الأراضي الإسلامية ضد العقيدة والثقافة والمجتمع فى الإسلام.

وقد طرحت الكلمة كترجمة للمصطلح الأوربى Missions بديلاً عن كلمة ((التبشير))[1]، وهو ما نختلف معه، وذلك لأسباب تتعلق بصحة ترجمة اللفظ وبمفهومه، وهى : -

١- الترجمة الصحيحة لكلمة Mission هى (التبشير بالدين المسيحى - المأمورية - البعثة) وليس التنصير[2].

٢- الهدف النهائى لذلك النشاط الهدام ليس إدخال المسلمين فى النصرانية، كما سيتبين لنا فيما يأتى.

٣ - لا مبرر لعدم الرضا عن مصطلح التبشير تخوفاً من ظلاله الحسنة، لأن التبشير قد عبّر به القرآن الكريم عن الحسن والطيب، وعبَّر به كذلك عن السوء والشر ومالا تحمد عقباه، كما قال تعالى: ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (آل عمران/٢١) وكقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ* يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ﴾ (النحل / ٥٨ ــ ٥٩) وكقوله تعالى: ﴿ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (لقمان/٧). فالعبرة بمضمون البشارة وليس بظلال المصطلح.

٤- أن المستهدف بهذه الإرساليات والبعثات الدينية ليس المسلمين وحدهم، بل إن التبشير يمارس ضد طوائف النصارى الشرقيين من أرمن وقبط وأرثوذكس[3].

---

(١) راجع هذا الاتجاه لدى: محمد عثمان بن صالح، النصرانية والتنصير أم المسيحية والتبشير، ص: ٦٩، مكتبة ابن القيم، المدينة المنورة ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م - د. علي النملة، التنصير ، ص : ١٧، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م بدون بيانات - د. عبد العزيز العسكر، التنصير ومحاولاته في الخليج العربي، ص: ١٤، مكتبة العبيكان ، ط١، الرياض ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م - د. علي جريشة، الاتجاهات الفكرية المعاصرة، ص: ٢٧.

(٢) Goetz Schregle, Deutsch – Arabisches Woerterbuch, S : ٨٣٠ London – Beirut ١٩٧٧.

(٣) د . علي النملة ، التنصير ، ص ١٥ .

٥ – كثير من أفراد البعثات التبشيرية قد انضم إليها لتحقيق أغراض ومآرب شخصية، مثل: السياحة والتجارة وغير ذلك [١].

٦- التبشير هو أحد مؤسسات التنصير وليس كلَّ التنصير؛ مما يجعل من قصر مصطلح التنصير على العمل التبشيرى وتخصيصه به تمويهاً على المستهدفين بالتنصير وتحويل أنظارهم بعيداً عن نشاط المؤسسات التنصيرية الأخرى، التى ربما يفوق تأثيرها الهدَّام تأثير التبشير.

٧- أن كلَّ مبشِّر منصِّر، لكن ليس كلُّ منصِّر مُبشِّراً.

أما عن مفهوم التنصير فى البيئة الإسلامية فقد صيغ المفهوم وتحددت وظيفته فيما يؤدى إلى إخراج المسلمين من دينهم وليس بالضرورة إدخالهم فى النصرانية[٢].

وهذا المفهوم الحديث للتنصير يلمس أحد أبعاد العمل التنصيرى، لكن هناك أبعاد أخرى لحقيقة التنصير لا يمكن الوقوف عليها إلا بإدراك طبيعة الصراع الكونى بين الديانات الكبرى من أجل استحقاق شرف ريادة الإنسانية وقيادتها، تلك القيادة التى تستمد مشروعيتها من امتلاك الحقيقة المطلقة المؤسَّسة على الوحى.

ولمَّا كان الإسلام قد أثبت صدق دعواه امتلاك الحقيقة المطلقة والقدرة على قيادة الإنسانية باختلاف أجناسها وشعوبها وتطلعاتها وآمالها، وذلك بما أنجزه فى حيز التطبيق الفعلي لذلك الاستحقاق، حيث استطاع فى قرن ونصف من الزمان أن يجمع تحت رايته أكثر من ثلثي المسكونة من بيض وسود، وعرب وعجم، وبربر وترك وهنود وقوقاز، سوّى بينها فى الحقوق والواجبات، وصهرها فى بوتقة شكلت أزهى عصور التاريخ: حضارة وعلماً وأخلاقاً.

فإن تلك القدرة الهائلة للإسلام قد أذهلت أهل الكتاب الذين قعدت بهم دياناتهم عن تبوّء تلك المنزلة أو ما يدانيها، على الرغم من الفترة الزمنية السحيقة التى قرعت العالم فيها نواقيس اليهودية والنصرانية.

---

(١) د.فروخ – الخالدي، التبشير والاستعمار في البلاد الإسلامية، ص ٤٩، ٥٠، المكتبة العصرية، بيروت ١٩٨٦م.

(٢) د. فروخ – الخالدي ، التبشير والاستعمار ، ص ٣٩ .

لهذا أدرك أهل الكتاب خسارتهم معركة التحدى الكونية، بسبب فقد ديانة العهد القديم والعهد الجديد المقومات الذاتية اللازمة لقيادة الإنسانية والارتقاء بها حضارياً وأخلاقياً، فعمدوا إلى سلوك طريق آخر يستهدف إقصاء الإسلام [1]. عن الحلبة الكونية نهائياً؛ حتى يتسنى لهم قيادة السفينة وامتلاك مقدراتها بما يدّعون من حقٍّ إلهى مقدس.

فكانت المواجهة مع الإسلام والصراع ضده هى السبيل لتحقيق ذلك الهدف، وقد اتخذ ذلك الصراع شكلين أساسيين هما الحروب العسكرية التدميرية، وحرب العقيدة والفكر التى تسعى للنيل من: الإسلام، ونبيِّه، وكتابه، ومعتقداته، وشرائعه، ونُظُمه؛ بهدف زعزعة عقيدة المسلم وتشكيكه فى دينه، مما يقود إلى الخروج من الإسلام وليس بالضرورة الدخول فى النصرانية [2].

ويكشف لنا هذا الغرض النهائى من حرب العقيدة والفكر سرَّ المشاركة الفعالة لليهود فى الصراع ضد الإسلام جنبا إلى جنب مع النصرانية رغم كراهيتهم واحتقارهم لها، إذ إن المسلم الذى يخرج عن دينه لن يصلح للإنسانية فى شىء فيكون خروجه نكاية من اليهودية فى الإسلام، فإذا اعتنق النصرانية فذلك نكاية من اليهودية فى الإسلام والنصرانية معاً. قال تعالى: ﴿ **وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ** ﴾ **(البقرة:١٠٩).**

وعلى ذلك يكون الصراع ضد الإسلام عملاً يهوديّاً نصرانيّاً مشتركاً تنوعت فيه الأدوار وتوزعت التخصصات ما بين: الخبراء، وشركات الأعمال، والمؤسسات، والإرساليات، والجيوش، ووزارات الخارجية، ووكالات الاستخبارات، وأساتذة

---

(١) يصرح المنصرون برغبتهم في إقصاء الإسلام، فالمنصر جسب يود أن يمحي الإسلام من العالم، ويصرح غيره بأن الغاية من عملهم هي: "القضاء على الأديان غير النصرانية ".
راجع : فروخ الخالدي ، مرجع سابق ، ص ٣٦ ، ٤٥ .

(٢) راجع في هدف الإرساليات والوعاظ من النصارى واليهود :
– مصطفى الخالدي – عمر فروخ ، التبشير والاستعمار في البلاد الإسلامية ، ص ٤٦ .
– إبراهيم الجبهان ، ما يجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن النصرانية والتبشير ، ص ٢٧، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد . الرياض ١٤٠٤ هـ.

الجامعات، والمراكز والمعاهد العلمية، والمستشرقين، وصانعى السياسة [1].

وهذا الصراع الذى يشكل جوهر الغارة التنصيرية على العالم الإسلامى [2]، يجعل من حصرنا فعاليات التنصير فى نشاط الإرساليات التبشيرية فهماً قاصراً لطبيعة التنصير وأبعاده وأدواته، فما هذا النشاط إلا أحد آليات التنصير، ولذلك فإن تخصيصه وحده باسم التنصير وصرف الهمم تجاهه وحده واستنزاف الجهد فى تتبع وسائله وممارساته، ليشكل وجها ثانياً من وجوه القصور فى فهم طبيعة الغارة التنصيرية فى جانبها العقدى، فهذا الجانب يشتمل على: جدليات، ودعاوى، ومزاعم، وشبهات مثارة من قِبَل دوائر تنصيرية عديدة إلى جانب الإرساليات التبشيرية ووعاظها، منها: الاستشراق، وكالات الاستخبارات، وسائل الإعلام، مراكز البحوث والمعاهد العلمية.

من جهة ثانية فإن أخطر نتاج الغارة التنصيرية الذى يجب أن يكون محل الاهتمام عبر دوائر التنصير المختلفة هو الجدليات التى استهدفت أصالة القرآن الكريم؛ نظراً للتلازم بين القرآن وبين الرسول كما قال تعالى: ﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ** ﴾ (**فصلت/٥٣**).

فالضمير فى ((أنه الحق)) كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (يرجع إلى القرآن، فإذا كان القرآن حقا لزم كون الرسول الذى جاء به صادقاً يجب التصديق بما أخبر وإطاعة ما أمر واجتناب ما نهى)[3].

وتكمن خطورة الجهد التنصيرى فى هذا المجال ليس فقط فيما يستهدفه، بل فى كثرة المؤسسات والمنظمات التنصيرية التى تقوم به وتنوعها ما بين علمية وثقافية ودينية واجتماعية، فقد أثمر ذلك الجهد الهائل عن نجاح، إن لم يكن فى

---

(١) بتصرف من : إدوارد سعيد، الاستشراق ، ص ٣٠٠، بترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت ط٢ : ١٩٨٤ م .

(٢) ربما يكون الاستاذ عبد الرحمن الميداني قد تنبه إلى الطبيعة الشمولية لعداء أهل الكتاب للإسلام، ذلك العداء المتمثل في الصراع ضد الإسلام بما أسماه: أجنحة المكر الثلاثة : الاستعمار – التنصير – الاستشراق .
راجع كتابه: "أجنحة المكر الثلاثة"، دار العلم، دمشق ط ٥ ، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٦ م.

(٣) ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٤/٢٥٠) وانظر (٤/٢١-٢٢) مطبعة المدني، مصر، بدون ترقيم .

تحقيق المسعى بتحويل المسلمين عن دينهم، فقد تمثل فى تنشئة طبقة من المثقفين المتعاطين لمنتجات الفكر التنصيرى الثقافية والعقائدية، وهذه الطبقة إسهامها فى حقل الجدل التنصيري ضد القرآن الكريم ربما يكون أكبر بسبب ما لها من سلطة فكرية وحضور ثقافي ومكانة علمية برّاقة، مكنتها من القيام بدور المخبر الثقافي والنائب المحلّى للفكر التنصيري فى بلاد العالم الإسلامى.

ومثل هذا الجهد التنصيرى الضخم يتطلب لمواجهته عملا جماعياً منظماً لا يفى به بحث هنا أو مقال هناك. إن متابعة هذا النشاط الواسع لا تقوم به إلا مؤسسات، ونحن نفتقد حتى يومنا هذا مؤسسة متخصصة فى هذا النشاط والرد على جدلياته.